وقتل القمر الرومانسي ، يسبقه عند الشاعر تحديد للشعر . فالشعر هو الشعر المقاتل البسيط الذي ينتقل من بيت الى بيت :

« قصائدنا بلا لون
بلا طعم .. بلا صوت !
اذا لم تحمل المصباح من بيت لبيت
وان لم يفهم البسطا معانيها
فاولى ان نذريها
ونخلد نحن للصمت »(٨).

طموح تحويل الشعر الى خبز يومي للناس ، الذي راود مخيلة نزار قباني ، يعود هنا ليحتل مكانه ، لكنه يندرج مع الشعر الفلسطيني في سياق الحياة المناضلة ، الكلمة هنا تأخذ حجمها كسلاح ، تصبح جزءا من جراح المسحوقين ومن مقاومتهم ، ولا تقف عند حدود الاحلام البرجوازية التي يروج لها شعر قباني . ودرويش في بحثه عن الفعل الايجابي يمتد نحو فلسطين امتداد العاشق . ففلسطين ، لا تعود مجرد وطن « ينفى الانسان في داخله » بل تصبح حبيبة يحاول الشاعر برومانسية جديدة ان يتغلغل الى احشائها ففي قصيدة **عاشق من فلسطين** تصبح فلسطين ــ الامراة هي المنفية ، والشاعر يقف أمام كبريائها المسحوقة يحاول تلمس مواقع الجراح ــ فهو « ينسى انهما اثنان » . ثم يحاول الشاعر ان يستجمع الماضي والحاضر في محاولته الاقتراب من حبيبته . فيسترجع النصر على الصليبيين ويعود في قصيدة **نشيد الرجال** الى الحاضر معيدا الثقة به . فهو قد خبر خيول الروم في الماضي ، وها هو عربي «لا يخجل» لاننا « نعرف كيف نبني المصنع العصري والمنزل » . في الوقت الذي كان فيه محمود درويش يبحث في ماضي شعبه وحاضره ، عن حوافز تشد الناس الى بعضهم وتدفعهم الى الاحتجاج والرفض ، كان سميح القاسم يدعو الناس الى شحذ ادوات النضال ، الى التخلي عن الافكار غير الواقعية ، والبدء في البحث عن طريق للخلاص .

« احس اننا نموت
لاننا لا نتقن النضال
لاننا نعيد دون كيشوت
لهفي على الرجال »(٩).

هذا التلهف على الرجال لا يأتي بشكل منعزل ، فالقاسم بعدما وضع اصبعه ، على سبب الموت ، يتطلع الى مستوى سياسي للعمل الجماهيري . انه الحزب الشيوعي . فالحزب بالنسبة له ، هو المكان الذي تشتد فيه اظفاره «وتقوى على الوجوه المستعارة» ، ونقطة التوجه تتمركز في الذوبان في نهر المستقبل العميق . نهر الثورة :

« ابدا على هذا الطريق
شرف السواقي انها ، تغنى غدى النهر العميق
والنهر يجري دافقا ، يجري ويكتسح السدود »(١٠).

الشاعر يحاول ان يستكشف طريقه الى شعبه ، وطريق شعبه الى البقاء . كشوفه تشد نحو التوجه الجماعي ، توفيق زياد هو الاخر ، يجد لنفسه مكانا في الماضي ، الذي جعله الاحتلال مادة لشحذ الهمم :

« وان كسر الردى ظهري
وضعت مكانه صوانة
من صخر حطين »(١١).